

لا نخشَ غيرَ الله (المحاضرة ١)

عليرضا بناهيان



الزمان: أيام الفاطمية
التاريخ: ١١ جمادى الأولى ١٤٤١
المكان: جامعة طهران
الموضوع: لا نخشَ غيرَ الله (المحاضرة ١)

إذا ما تلوّثت حياتنا بالخوف، سيفوز بأصوات الناس من يخوّف الناس من الحرب/ يبدو أن التنظير للخوف أصبح إحدى رسالات بعض أهل العلم في الحوزة والجامعة!/ تتمثل أحد أركان محبوبية القائد سليماني في شجاعته

التخويف من أهم مكائد إبليس. فمن خاف ضَعُف وفَقَد قواه الفكرية، ثم يستعجل وإنّ استعجاله سيُشقيه ويورّطه في غير قليل من الذنوب. ولذلك من الممكن أن نعتبر الخوف صفةً رئيسة تحرم الإنسان من كلّ شيء!

إليكم أهمّ المقاطع من المجلس الأول من سلسلة محاضرات عليرضا بناهيان في جامعة طهران تحت عنوان «لا تخشَ غيرَ الله»:

إن لم يخف الإنسان في محلّه خاف في غير محلّه!

إن موضوع بحثنا في هذه الجلسات هو الخوف؛ لا الخوف من الله بالطبع، بل الخوف الطبيعي الذي يحيط بالإنسان، أي الخوف من غير الله، كالخوف من العدوّ أو الخوف من أي بلاء قد ينزل بالإنسان. الخوف موجود في وجود الإنسان بشكل طبيعي. ولكن إن لم يستخدم الإنسان هذا الخوف في محلّه، أي في الخوف من الله، سيستخدمه في غير محلّه، أي سيخاف من غير الله. الشجاعة فضيلة بارزة يُثني عليها جميع الثقافات. الخوف بشكل مطلق هو من علامات الضعف ومن بواعث الضعف كذلك. الكل يعلم أن الخوف ليس بشيء حسن، ولكن عندما يبدأ الإنسان بتبرير الخوف، فذلك منطلق جميع المصائب. والأمرّ من ذلك هو أن يبدأ الناس بالتنظير للخوف. فهنا تكون الويلات والطامّة الكبرى على أبناء البشر. إن تبرير الخوف والأكثر من ذلك التنظير له يُشقيان الإنسان. وإلّا فإن خاف الإنسان من بعض الأشياء ثمّ اعترف بذلك بصراحة، فكأنه قد فتح على نفسه باب النجاة ولن يكون سببا لانحراف المجتمع.

يبدو أن إحدى رسالات بعض أهل العلم في الحوزة والجامعة هو التنظير للخوف!

إذا قال امرء: «أنا أخاف من الموت، أنا أخاف من الفقر، أنا أخاف من العدوّ، أنا أخاف من الخسارة...» فإن مثل هذا الإنسان عارف بنفسه ولا يبرّر خوفه. أما الذي يخاف ويبرّر خوفه ويقول مثلا: «لا؛ ليس هذا من باب الخوف، بل...» أو يحتجّ بذرائع لتبرير خوفه، فإن ذلك سيئ جدّا. التنظير للخوف أسوأ بكثير من تبرير الخوف. كأنّ إحدى رسالات بعض أهل العلم في الحوزة والجامعة هو التنظير للخوف! أولئك الذين يريدون أن ينظّروا للخوف في الحوزة، فإنهم يرتكبون هذه الجريمة بأدبيات ونصوص دينيّة. أمّا الذين يريدون أن ينظّروا للخوف في الجامعة، فينطلقون في عمليّات التنظير للخوف بأدبيات غير دينية، مثل الأدبيات التجريبية والعلوم الاجتماعية والحقوقيّة وأمثالها.

التخويف من أهم مكائد إبليس

قبل أن نتحدّث حول الخوف وتعقيداته ودوره المدمّر في حياة البشر وفي حياتنا فردا فردا، نقف عند آية من القرآن تدلّ على أن الخوف من أهم مكائد إبليس. عندما نتحدّث عن الذنوب والسيئات، ماذا يتبادر إلى ذهننا في بادئ الأمر؟ الشهوات! كذلك عندما نتحدث عن وساوس إبليس، أول ما يتبادر إلى أذهاننا الشهوات. ولكن القرآن يبيّن أن عمليّات وسوسة إبليس تنطلق من التخويف. فإنه تعالى يقول: (الشَّيْطانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَ يَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشاء) [البقرة/٢٦٨] يعني أن الشيطان يخوّف الإنسان من الفقر ـ أي من الحرمان بشكل عام الذي هو أعم من الحرمان المالي ـ وبعد ذلك يجرّه إلى الفحشاء.

على أساس الآية القرآنية، الأولويّة الأولى عند إبليس هي التخويف

الأولويّة الأولى عند إبليس من بين شتّى الأساليب التي يمارسها هي أن يخوّف الناس. فإذا ما خاف الإنسان، جرّه بعد ذلك إلى القضايا الأخرى كالشهوات. فعلى أساس هذه الآية الكريمة، يمكننا القول نوعا ما أن من يستطيع أن يقاوم هذا الكيد من مكائد إبليس ولا يرتعب، فإنّه قد يقدر على مقاومة باقي الوساوس أيضا. كيف يتورّط الناس في الشهوات ولماذا؟ لأنهم يخافون من أن تفوتهم فرصة الالتذاذ. فيقعون في الذنوب. فترى عنصر الخوف ماثلا في مجال الشهوات أيضا. فلو استطاع الإنسان أن يجرّد نفسه من الخوف فإنه قد لا يتورّط بكثير من الشهوات.

إذا خاف المرء ضَعُف، ومن ثَمّ يفقد قواه الفكريّة، ثم تتبلور فيه صفة هي موجودة في الإنسان بطبيعته وهي «العجلة»؛ أي سيستعجل فيدفعه الاستعجال إلى الشقاء ويتورّط بكثير من الذنوب.

الخوف صفةٌ رئيسة تحرم الإنسان من كلّ شيء!

يمكننا أن نعتبر الخوف صفة وحالة رئيسة لدى الإنسان، ليُحرَم من كلّ شيء! كذلك يمكن أن نعتبر الشجاعة صفة وفضيلة رئيسة، لنيل كلّ شيء! طبعا لابدّ أن نفهم الخوفَ والشجاعةَ بمعناهما العميق والواسع. ليست الشجاعة عدم الخوف في ساحة القتال فقط. ليست الشجاعة مجرّد أن يقف الإنسان أمام رمي الرصاص دون فرار. الشجاعة تعني أن يحظى الإنسان بقلب قوي ولا يحسب أنّه يفقد فُرَصَه ونِعَمَه! من المهمّ جدّا أن لا يتوهّم الإنسان أنه سيفقد فرصة أو نعمة. بمجرّد أن يلقّن الإنسان نفسه أن «لن يفقد هذه النعمة» سينجو من الخوف.

نحن نعيش مع الخوف وننظّم حوافزنا بالخوف

فلنتحدث قليلا «عن تلوّث حياتنا بالخوف». إثر تربية الآباء والأمهات وتحت تربية معلّمينا وتعليمهم، أصبحنا نعيش مع الخوف ولعلّنا نستطيع القول بأن هذه هي الحالة الغالبة. يعني ننظّم حوافزنا بالخوف. فعلى سبيل المثال ندرس ونحصل على الشهادة خشيةَ الإملاق أو خشيةَ البطالة! تصوّروا ماذا يحدث إن جرّدنا أنفسنا عن حوافز الخوف؟ سيصبح العالم عالما آخر لم نجرّبه بعد! فعلى سبيل المثال إن كتبتم لفيلم أو مسلسل قصةَ «مدينة لا أحد فيها يعاني من حوافز الخوف» فتنبأوا كيف تكون القصة؟ من المؤكد أن حواراتهم وروحيّاتهم ستكون مختلفة جدّا عمّا نحن عليه الآن.

لا يحق لأحد غير الله أن يخوّف الناس

كم من أمّ تقول لولدها: «ادرس وإلّا تصبح إنسانا فاشلا!» يعني تخوّف الطفل منذ البداية. أو تقول مثلا: «اسكت وإلّا يأتي الواوي ويأكلك!» فإنها تزرع الخوف في ضمير الطفل بكل سهولة. التخويف عمليّة فنيّة ودقيقة جدّا ولا يحقّ لأحد غير الله أن يخوّف الناس. فإنه تعالى عندما يخوّف الإنسان يخوّفه عبر عمليات خاصّة؛ مثلا يخوّفه بعذاب ليس حاضرا ولا يُدرى متى يصيب الإنسان. إنه تعالى يتحدث عن شدّة هذا العذاب فقط، ولكنّه بعيد جدّا.

إنما يحقّ لله فقط أن يخوّف عبده، لأنه ملاذ عباده، فعندما يخوّفهم، نفس هذا التخويف مدعاة لسلامة روحهم. لا يحقّ لأحد أن يخوّف أحدا. فقد جاء في الحديث الشريف: «شَرُّ النَّاسِ مَنْ يَتَّقِيهِ النَّاسُ مَخَافَةَ شَرِّهِ» [غررالحكم/٥٧٤٩] «مَنْ خَافَ النَّاسُ لِسَانَهُ فَهُوَ فِي النَّارِ» [الكافي/ج٢/ص٣٢٧] فإذا كان زوجك أو ابنك يفعلان فعلا خوفاً منك، فهذا أمر سيئ جدّا. «روي أَنَّ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ(ع) دَعَا مَمْلُوكَهُ مَرَّتَيْنِ فَلَمْ يُجِبْهُ ثُمَّ أَجَابَهُ فِي الثَّالِثَةِ فَقَالَ لَهُ يَا بُنَيَّ أَمَا سَمِعْتَ صَوْتِي قَالَ بَلَى قَالَ فَمَا بَالُكَ لَمْ تُجِبْنِي قَالَ أَمِنْتُكَ قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ مَمْلُوكِي يَأْمَنِّي» [الإرشاد للمفيد/ج٢/ص١٤٧]

إذا ما تلوّثت حياتنا بالخوف، سيفوز بأصوات الناس من يخوّف الناس من الحرب

عادةً ما تكون حياتنا مصحوبة بالخوف. فإن القوانين الإدارية وضوابط المدارس والجامعات والتي قد انتهت إلى الحوزات، تجعلك لا تغيب مخافة الطرد من المدرسة. أو تخاف أن تقع في تلك المشكلة إن لم تدرس. وإن خفت فقد انتهى الأمر ولا يمكن إصلاحه، أي سيفسد المناخ أساسا ولا يعود يصلح لرشدك. إن حياتنا وللأسف قد تلوّثت بالخوف. حتى انتهى بنا الأمر بحيث من يرعب الناس من الحرب يفوز بأصواتهم في الانتخابات. فيُدلون بأصواتهم لصالحه وإن كان دجّالا خبيثا.

الولاية طريقة في إدارة المجتمع بحيث لا تتخذ الإرعاب وسيلة للسيطرة على الناس

ماذا تفعل الولاية أو الحكومة الولائيّة؟ الولاية طريقة في إدارة المجتمع بحيث لا تتخذ الإرعاب وسيلة للسيطرة على الناس؛ لأنه إذا كان لا بدّ للناس من الخوف، فيجب أن يخافوا الله وعقابه. وبطبيعة الحال، يَصلَف البعض في مثل هذه الحكومة لأنهم يأمنون شرّ الوليّ! كما ترى صلافة بعضهم أدت إلى أن يحرقوا باب بيت الزهراء(س). على الرغم من كونهم كانوا يعلمون مدى شجاعة علي(ع) وأنه إذا غضب فلا يسع أهل المدينة بأجمعهم أن يبارزوه، لم يخافوا منه، إذ كانوا يعلمون جيّدا أنه لا ينهض ولا يشهر السيف إلا وفق قواعد وضوابط لم تتوفّر يومذاك، ولا ناصر له. لذلك تجرأوا عليه وارتكبوا ما طاب لهم من الظلم والإجرام.

الخوف ناموس عالم الخلق، فلا يجوز لأحد أن يخشى غير الله أو يخوّف الناس من عنده

الخوف، ناموس عالم الخلق، فلا يجوز لأحد أن يخشى غير الله أو يخوّف الناس من عنده. لقد جاء في الحديث الشريف: « يُسَلِّمُ الرَّجُلُ إِذَا دَخَلَ عَلَى أَهْلِهِ وَ إِذَا دَخَلَ يَضْرِبُ بِنَعْلَيْهِ وَ يَتَنَحْنَحُ وَ يَصْنَعُ ذَلِکَ حَتَّى يُؤْذِنَهُمْ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ حَتَّى لَا يَرَى شَيْئاً يَكْرَهُهُ»[جامع الأخبار/ص٨٩]

إذا ما خلت حياتنا من خشية ما سوى الله، فإنها ستصبح حياة أخرى! بينما إذا غمرها الخوف، فتغدو كالمستنقع المُنتِن! أتعلمون إلى ماذا ستؤول؟ سيكون منحاها منحى العصابة التي قتلت الحسين(ع) إذ أرعبوهم من جيش يزيد! فلا تتصوّروا أنهم ومن أجل أن يدفعوا الناس إلى قتل الحسين(ع) أخذوا يذمّون الإمام الحسين(ع) ليلَ نهارَ أو يسبّحون بحمد يزيد! فلو سئل قتلة الحسين(ع) أن: «من الأفضل الحسين(ع) أم يزيد؟» لقالوا: أوفي فضل الحسين(ع) شك! فلماذا قتلوه بأمر يزيد؟ لأنهم كانوا يخافون من يزيد ولا يخافون من الإمام الحسين(ع)! ترى اليوم بعض النوّاب في المجلس، يخافون التصادم مع أمريكا، ويبرّرون خوفهم وينظّرون له. هل سمعتم أن «الطيور على أشكالها تقعُ» كذلك الجبناء على أشكالها تقع. فالجبان يدلي بصوته لصالح مرشّح جبان وينتخب الجبان. ويقول: إنه قد تكلم بما في قلبي!

كيف تكون الحياة بلا خوف؟

كيف تكون الحياة بلا خوف؟ فعلى سبيل المثال، إنكم ترتّبون البيت وتقولون: «نخشى أن يأتينا ضيفٌ!» طيّب فحاولوا أن تقلعوا هذا الخوف من قلوبكم، بحيث تتيقنوا أن لا يذهب ماء وجهكم أمام هذا الضيف ولا ذرّة ولا تَقِلّ محبوبيتكم عند هذا الضيف. فالآن انهضوا ورتّبوا البيت من دون أيّ خوف. هنا قد يقول البعض: «ولكن بعد هذا الشعور لم يعد يبقى لي دافع لترتيب البيت!» رتّب بيتك حبّا للجمال لا خوفا من ذهاب ماء الوجه! فهناك شتّان بين الحافزين. إن جرّدنا حياتنا من دوافع الخوف، ستصبح حياتنا حياةً أخرى. مثلا ادرسوا، ولكن لا خشيةً من الفقر! حصّلوا على الشهادة، ولكن لا خشيةَ الحرمان من العمل! هكذا سوف تكون حياة الناس في زمن الإمام صاحب العصر والزمان(عج). سيقول للناس مثلا: من افتقر فأنا كفيله. فلن يحتاج الناس إلى التأمين يومئذ.

إذ سيقول: «لا تخف، متى ما عازك شيء فأنا أكفلك. فامض في حياتك وخض الغمرات، وإن واجهت مشكلة فأنا أجبرها» إنّ حكمة التأمين في الواقع، أو إحدى الخلفيات التنظيرية للتأمين هو الخوف.

ما الذي يجنيه الجبان في هذه الدنيا؟

ما الذي يجنيه الجبان في هذه الدنيا؟ تقول الرواية: «مَنْ آجَرَ نَفْسَهُ فَقَدْ حَظَرَ عَلَى نَفْسِهِ الرِّزْقَ» [الكافي/ج٥/ص٩٠] و «لَا يُؤَاجِرْ نَفْسَهُ وَ لَكِنْ يَسْتَرْزِقُ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ وَ يَتَّجِرُ فَإِنَّهُ إِذَا آجَرَ نَفْسَهُ حَظَرَ عَلَى نَفْسِهِ الرِّزْقَ» [الكافي/ج٥/ص٩٠] ما الفرق بين الوظيفة والتجارة؟ التجارة لا تخلو من المغامرة بالطبع، إذ قد تخسر رأسمالك، وقد تلقى تجارتك رونقا فيتضاعف رأسمالك. لعلّك تلقى زبائن ولعلّك لم تلقَ. ولكنّ كثيرا من الناس يتحرّجون من مغامرات التجارة خوفا، ويفضلّون التعيين في إدارة أو مؤسسة ما. كذلك ترى كثيرا من الآباء والأمهات يسألون الخطيب عن شغله، وأنه هل توظّف في مكان أم لا؟! لماذا أكثر الناس يبحثون عن التوظيف؟ معظمهم يريد أن يريح باله من مخاوف الفقر. طبعا هذا هو حال الأكثرية، وهناك من لا يصدق عليه هذا الكلام.

لا يدخل الله في قلب الإنسان الجبان!

إن لم تخشَ غيرَ الله ولم تقم بعمل بدافع الخوف، تحظَ بحياة مختلفة وتنعم بقوّة القلب. بعدما يقوى قلبك تشعر بقلبك وتجده ويدخل الله في قلبك. فلا يدخل الله في قلب الإنسان الجبان! لذلك أول صفة يحظى بها العرفاء هي الشجاعة. فإن العارف على أشدّ الدرجات من قوّة القلب! أحدهم هو نبي الله إبراهيم(ع) إذ لم يعتره خوف حين ما أرادوا أن يرموه في نار نمرود. وحتى عندما أراد جبرئيل أن ينقذه وسأله: «هَلْ لَكَ إِلَيَّ مِنْ حَاجَةٍ فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: أَمَّا إِلَيْكَ فَلَا، وَ أَمَّا إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ فَنَعَم» [تفسير القمي/ج٢/ص٧٣] فأصبح إبراهيم(ع) خليل الله ونال ذاك المقام الرفيع. وأصبحت مكّة موطن تعظيم آثار إبراهيم(ع).

أوّل ما يمتحن به الله أو أكثره هو امتحان الخوف

إن الله يمتحننا بالخوف. فقد قال: (وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَ الْجُوعِ وَ نَقْصٍ مِنَ الْأَمْوالِ وَ الْأَنْفُسِ وَ الثَّمَراتِ...) [البقرة/١٥٥] أوّل ما يمتحن به الله أو أكثره هو امتحان الخوف. ثم يأتي دور الجوع ونقص الأموال وسائر البلايا. أكثر القضايا التي تخافونها هي ليست إلا امتحاناً لعدم الخوف. فمجرّد عدم خوفكم هو نجاح في الامتحان. فقل إلهي لا أخاف. إن لم نقدر على اكتساب فضيلة الشجاعة، فلنسعَ لتنزيه أنفسنا من حقارة الخوف وذلّه كحد أدنى. إنّ معظم حياتنا وللأسف قد امتزجت بالخوف، يعني أن الحافز لكثير من أفعالنا في الحياة هو الخوف. بحيث لولا الخوف لما قمنا بشيء، وذلك من شدّة تعوّدنا على أن نمارس أفعالنا كلّها بدافع الخوف!

طبيعة معظم تعاليمنا الدينية هي أن تقضي على خوفنا

معظم تعاليمنا الدينية بصدد القضاء على خوفنا من غير الله؛ وذلك عبر مفاهيم شتّى كالتوكّل وغيره. إذا ألقيت نظرة إلى القرآن رأيت أن الله يخاطبك وكأنك غير مسؤول عمّا يجري في العالم وأن الأمور كلّها بيد الله. حيث يقول تعالى: (يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ وَ يَهْدى مَنْ يَشاءُ) [النحل/٩٣] (وَ اللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ) [النور/٣٨] و (فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَ ما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لكِنَّ اللَّهَ رَمى) [الأنفال/١٧] أو يقول: (وَ لَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَالِكَ غَدًا* إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ) [الكهف/٢٣،٢٤] بعدما عرفت أن الأمور ليست بيدك وليست بيد أحد غير الله، لا يبقى دليل للخوف، فلا تخف! ممَّ تخاف؟! يقول آية الله بهجت(ره): لا يخاف طفل من جوع غده، إذ يقول: ماما موجودة وبابا موجود، لذلك يستطيع أن يسرح في لعبه ومرحه بكلّ سهولة ويستمتعَ بحياته. إذا خاف طفل على رزقه، تحطّمت روحه. وأصبح كثير منّا الآن كالطفل المحطّم، ولو اعتبرنا المجتمع كبارا عقلاء. ولكن العقل ليس هذا، إذ أنّ العقل لا يرعب الإنسان! أجل إن عَطِبَ عقلُ امرءٍ وكان سطحيّا لا ينظر إلّا إلى المدى القريب ولا يرى المستقبل، فإنّه يصبح جباناً. بينما إذا رأى عقلُ الإنسان نطاقاً أوسع، فإنه لن يخاف من شيء.

أحد أركان محبوبية القائد سليماني شجاعته

بـودّي أن أشـير إلى نقطـة عـن القائـد سـليماني. لقـد ضـاق صـدري في هـذه الأيـام. إذ قـد كـثر الحديـث عنـه بالطبـع، ولكنّـه لا يـزال في غربـة كبـيرة. لقـد سـمعنا بعـد استشـهاد القائـد سـليماني مـن الإذاعـة والتلفزيـون وباقـي وسـائل الإعـلام في هـذه الأيـام عـن أخلاصـه كثـيرا. لمـاذا هـزّ العـالم وسـخّر كلّ هـذه القلـوب؟ الـكل يجيـب بسـبب إخلاصـه. لا شـك في صحّـة هـذا الجـواب، ولكـن هـل كلّ مـن يُخلِـص عملَـه يصبـح محبوبـا إلى هـذه الدرجـة؟! كلا! مـمّا لا شـكّ فيـه إن مـن أركان محبوبيّتـه وهـذا الزلـزال الـذي أحدثـه في العـالم هـو أخلاصـه، ولكـن الركـن الآخـر شـجاعته. لقـد عـرض هـذا المقطـع كثـيرا حيـث كان القائـد سـليماني يمـشي عـلى السـاتر بـكلّ ارتيـاح؛ وكأن يسـهل عليـه التفكـير هنـاك، وذلـك عـلى الرغـم مـن خطـر الإصابـة. وهنـاك مقطـع آخـر يحـاول فيـه القائـد أن يجتـاز السـاتر لـيرى مـا خلفـه، ولكـن يحيـط بـه رفاقـه ويمسـكونه لئـلّا يتقـدّم أكـثر ولا يسـتهدفه العـدو. تـرى ركـن الشـجاعة هـذا مؤثـرا في محبوبيـة الشـهيد حججـي أيضـا. فقـد رأى النـاس في ملامحـه ونظراتـه الأخـيرة شـجاعة وعـدم خـوف. إن هـذه الشـجاعة هـي التـي قـد حسـمت الأمـر وقلّبـت القلـوب.

الله يعلم كم من مجاهد شجاع ربّته فاطمة الزهراء(س)!

إنمـا تنـال الشـهادة بالشـجاعة. لابـدّ أن نعمـل دراسـات عـلى شـهدائنا ويجـب أن تُعَـدّ وثائقيّـات عـن أمّهـات الشـهداء لـنرى كيـف كـنّ يربّـين أولادهـنّ بحيـث تبلـورت عندهـم هـذه الشـجاعة؟ مـن المؤكـد أن هـذه الأم كانـت تتصـف بـشيء مـن الشـجاعة ولعلّهـا كانـت تقـول لابنهـا في بعـض الأحيـان: «لا تخـف»! أو أنهـا جسّـدت لابنهـا شـجاعتها وعـدم خوفهـا، فلـولا ذلـك لمـا نـال ابنهـا مقـام الشـهادة. اللـه يعلـم كـم من مجاهد شـجاع ربّته فاطمـة الزهراء(س)، في جبهـات القتال! أيها الإخوة! في ميسـوركم جميعـا أن تحيَـون بنمـط تتكفل فاطمة الزهـراء(س) بتربيتكم وتتخذكم أولادا لها، إذ أنهـا أمّكم المعنويّة، فـإن أصبحتـم عـلى معرفـة من هـذه الحقيقة، اتخذتكـم أولادا لها. حسـبكم أن تطرقوا بابها وتتوسّـلوا بها كالابـن الـذي فقـد أمّه.. لقد عشـنا هـذه الأيام المريرة ورأينا كيف كان الشـعب متذمّرا وغضبانا ومسـتاءً، بـل أصبـح لا يـكاد يسـتطيع أن يمـارس أعمالـه العاديّـة. وإذا سـألت أحدهـم قـال: «لقـد طعنـوا بطلَنـا»!

فكيـف بكـم لـو كانـوا قـد طعنـوا أمّكـم! فاعرفـوا أي ألم تجرّعـه الإمـام الحسـن(ع) والإمـام الحسـين(ع) في المدينـة! تـرى شـعبنا بعـد استشـهاد القائـد سـليماني يطالـب بأخـذ الثـأر والانتقـام، ولكنّكـم تعرفـون أن لا أحـد في بيـت عـلي(ع) كان يسـتطيع أن يطلـب الثـأر؟ لقـد خـرج شـعبنا وسـيّر مسـيرات وتظاهرات وشـيّع أجسـاد الشـهداء بتشـييع رهيـب، ولكـن دفنـت فاطمـة الزهـراء(س) في جـوف الليـل خفيـة. حتـى أن أمـير المؤمنـين(ع) أوصى أطفالـه أن يضعـوا أكمامهـم عـلى فمهـم لـكي لا يعلـو صـوت بكائهـم. إن أبنـاء فاطمـة الزهـراء(س) قـد كتمـوا بكاءهـم في صدورهـم وهكـذا تسـنّى لنـا أن نبـكي عليهـا بصـوت عـال بعـد مـضي ١٤٠٠ عـام...



لا نخشَ غيرَ الله (المحاضرة ٢)

عليرضا بناهيان



الزمان: أيام الفاطمية
التاريخ: ١٢ جمادى الأولى ١٤٤١
المكان: جامعة طهران
الموضوع: لا نخشَ غيرَ الله (المحاضرة ٢)

كيف يسدّ الله باب تبرير الخوف؟/ ليراقب الآباء والأمهات تشجيعاتهم/ التشجيع قد يبلور الخوف في قلب الإنسان/ الحياة بدافع الخوف مدعاة إلى الضعف وانخفاض الإبداع/ لماذا كلّ من يخشى الله يعشقه؟

الدين يقف أمام تبرير الخوف؛ فإن كثيرا من الآيات والروايات صدرت من أجل ألاّ يبرر الإنسان خوفه. ما الذي يفعله الله في سبيل أن يسدّ علينا باب تبرير الخوف؟ من أجل ذلك يقول مثلا: «إن أجلكم بيدي» أو يقول: «رزقكم بيدي» فلماذا تخافون إذن؟

إليكم أهمّ المقاطع من المجلس الثاني من سلسلة محاضرات عليرضا بناهيان في جامعة طهران تحت عنوان «لا نخشَ غيرَ الله»:

إن الحياة القائمة على الخوف من الكثرة بمكان بحيث لا تحسب مرضا!

قبل أن نؤمن بالله أو نقوّي إيماننا به أو قبل أن نجعل إيماننا ذا تأثير في حياتنا يحسن بنا أن نجرّد حياتنا من الخوف، فلا تكون حياتنا قائمة على الخوف! ولكن وللأسف أصبح هذا النمط من الحياة شائعا جدّا فلا يحسبه أحدٌ حالة مرضيّة أو مرضا نفسيّا. كثير من الناس إذا تكلّموا معا، يتحدثون بكل صراحة عن مخاوفهم ومبادراتهم لتفادي هذه المخاوف، فأصبح الخوف هو الحافز الرئيس لمبادراتهم وتخطيطاتهم. إنها ظاهرة شائعة جدّا وما أسوأها. ولا أحد يقول: إن هذا النمط من الحياة سيئ وغلط! ما أكثر الآباء والأمّهات الذين يربّون أطفالهم بالخوف، فيحرّضونهم على الأدب والترتيب والحركة والنشاط و... عبر تخويفهم. في حين أنه ليس هنا مورد استخدام الخوف!

الحياة بدافع الخوف مدعاة إلى الضعف وانخفاض الإبداع

في تلك الحياة الولائية في ظل حكم الإمام صاحب العصر والزمان(عج) سيزول خوف الناس! فلو تجرّد الإنسان من كثير من هذه المخاوف الشائعة في الحياة، سيحيى بمزيد من الإبداع. فعلى سبيل المثال افرضوا لو لم تكن دراستكم أو عملكم خوفا من الفقر، كيف كنتم تعملون وتدرسون؟ إن كنت عاملا تصبح عاملا مبدعا في المصنع وإن كنت طالبا تصبح عالما بأسهل ما يكون. إنها لحقيقة أثبتتها التجارب النفسيّة أيضا، فتبيّن التجارب أنه عندما تُخَصَّص جائزة لامتحان ما، تنخفض نسبة الإبداع في حل المسائل لدى المتَحَنين بسبب خوف الحرمان من الجائزة. أمّا إذا كان الامتحان بلا جائزة، تزداد نسبة الإبداع في حلّ المسئلة. ترى غير قليل من الناس لا ينفكون عن البحث دوما في ذهنهم وأفكارهم ليجدوا مشكلة يخافون منها! هذه طبيعة أذهان الذين قد تعوّدوا على «الحياة بدافع الخوف»؛ فهم يبحثون في أذهانهم ليخافوا من شيء ويشغلوا بالهم به. إن هذا الخوف مدعاة لضعف الإنسان. ومن جانب آخر بما أن معظم الناس أو كلّهم تقريبا لا يخلو من هذا الضعف، فلا أحد يعتبره عيبا أو مرضا، ومن ثمّ لا يستغفر منه.

ليراقب الآباء والأمهات تشجيعاتهم/ التشجيع قد يبلور الخوف في قلب الإنسان

يجب أن يتغيّر نمط الحياة فينا وكذلك يجب أن يتغير أسلوب الإدارة في المجتمع وفي الأوساط التعليمية والتربويّة، ويجب أن يتقلّص الخوف إلى أدنى حدّه. لابدّ للإنسان أن يعيش بشجاعة، فإن الشجاعة لا تقتصر على جبهات القتال. فإن سرت الشجاعة في حياة الإنسان كلّها ستترك بصمة تأثيرها في كثير من قراراتنا المهمّة في الحياة. كما يمكن للخوف أن يأخذ بناصية قراراتنا. فعلى سبيل المثال قد يختار طالبٌ لإكمال دراسته فرعا فيه دخل كبير، بينما تكون رغبته في فرع آخر وأساسا قد خلق من أجل عمل آخر، ولكنه يختار طريقا ومصيرا آخر خشيةَ الإملاق. أحد الأصول التي لابد من مراعاتها في أسلوب إدارة الأسرة، هو أن يراقب الآباء والأمهات أنفسهم حين يشجّعون أولادهم. فقد جاء في الروايات أن لا تمدح أحدا أمامه، فإن فعلت ذلك فكأنك قد طعنته أو ذبحته؛ «مَنْ مَدَحَكَ فَقَدْ ذَبَحَكَ»[غرر الحكم/ص٤٦٦] لماذا لا يحسن هذا التشجيع؟ لأنه يحدث خوفا إلى جانب هذا التشجيع، وهو الخوف من فقدان هذه المكانة، أو الخوف من التخلّف في المنافسة. لابد من إزالة هذه المخاوف من الحياة.

يقف الدين أمام التنظير للخوف/ إن المنظّرين للخوف هم من الجامعة والحوزة

في مسار البحث نخوض في موضوعين؛ الأول هو أن البعض يبرّرون خوفهم، والثاني هو أن البعض ينظّرون للخوف. فالدارسون وأصحاب الشهادات في الغالب ينظّرون للخوف وعامّة الناس يبرّرونه. أمّا الدين فيقف أمام تبرير الخوف والأكثر من ذلك يقف أمام التنظير له. إذا أراد بعض علماء الحوزة والجامعة أن ينظّروا للخوف فقد اجترحوا جرما كبيرا، إذ بعد هذا التنظير سيقول الناس الذين يريدون تبرير خوفهم: «هذا ما أقرّ به العلم أيضا!». وقد يعتبر هذا العلم تارة منطلقا من الدين، وتارة من التجربة. إن المنظّرين للخوف اليوم هم من الجامعة والحوزة وليسوا من أهل الجامعة فحسب. وفي كلا المركزين (الحوزة والجامعة) هناك علماء وأساتذة لا يستحسنون هذه النظريات ويدركون عدم صوابها. فلا تخلو الجامعة ولا الحوزة من الغث والسمين.

كثير من الآيات والروايات هي من أجل صدّ الإنسان عن تبرير خوفه!

كثيرا ما يحاول الإنسان أن يبرر خوفه، وفي المقابل كثير من الآيات والروايات هي من أجل صدّكم عن تبرير خوفكم! أحد هذه المخاوف هو «الخوف من الجهاد» لأن الإنسان يقول بطبيعته: إن إذهب إلى ساحات الجهاد سأتعرّض للضرر والموت. ولكن الله يقول لأولئك الذين يفرّون من الجهاد خوفا من الموت وخوفا على أرواحهم: (أَيْنَما تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ) [النساء/٧٨] وقال كذلك: (فَإِيَّايَ فَارْهَبُون) [النحل/٥١] و (وَإِيَّايَ فَارْهَبُون) [البقرة/٤٠] ممَ ترهبون؟ فإذا كنتم لابدّ راهبين فارهبوني إياي! يريد الله أن يصدّ الإنسان عن تبرير خوفه، ولا سيما الخوف من الموت، ولذلك يؤكد على أن «الموت بيدي»! وقد أكد القرآن على أن الأجل إذا جاء فلا يقدّم ولا يؤخّر؛ (فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً وَ لا يَسْتَقْدِمُون) [النحل/٦١] قال أمير المؤمنين(ع): «فَإِنَّهُ لَيْسَ عَنِ الْمَوْتِ مَحِيصٌ؛ إِنَّكُمْ إِنْ لَا تُقْتَلُوا تَمُوتُوا» [الإرشاد للشيخ المفيد/ج١/ص٢٣٨] الجهاد لا يقرّب الموت، فلا تحسب أنك لم تكن تموت إن تخلّفت عن جبهات القتال! «إنّ الفارَّ لَغَيرُ مَزِيدٍ فى عُمرِهِ و لا مَحجوزٍ بَينَهُ و بَينَ يَومِهِ» [الكافي/ج٥/ص٤١]

الروحية الاستشهادية طريق للالتفاف على خشية الموت

لماذا كان القائد سليماني يتمنّى الشهادة بفارغ الصبر؟ لأن الأذكياء يقولون: «أخشى أن أموت وأفقد فرصة الشهادة!» تصوّروا لو كان القائد سليماني يموت بعد عمر طويل قضاه بالجهاد على أثر سكتة قلبية، ما كان أفجعه من حدث! ولانحنى مسار التاريخ إلى منحى آخر، كما أن الآن وبعد استشهاده تغيّرت أحداث التاريخ واتخذت منحى آخر. يجب إقصاء الخوف، حتى الخوف من الموت. طلب الشهادة طريق لتفادي «الخوف من الموت» واجتيازه! الدرجة الأولى في طلب الشهادة هو أن تكون قد أقنعت نفسك بالموت، أمّا بعض الناس فأساسا لا يفكّر بالموت أبدا! انظروا كم قد وُصينا بكتابة الوصيّة. فإنك عندما تكتب وصيّتك فقد التفتّ إلى حقيقة أنك لا محالة راحل! فاكتب وصيّتك وإن شاء الله لا تموت مبكّرا! ولكن الإنسان يريد أن لا يفكّر بالرحيل والموت أبدا! إنك إن تحلّ قضية الموت لنفسك ستخلص من مشاكل كثيرة.

قوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتين) هو أسلوب لإقصاء خوف الإنسان

بالإضافة إلى هذا الأسلوب يستخدم الله في القرآن أسلوبا آخر لإزالة خوف الإنسان؛ وذلك عندما ينسب الرزق إلى نفسه. فهو يؤكد على أن «الرزق بيدي!» لعلك تقول: «إذا كان رزقنا بيد الله، فلا داعي بعد للعمل؟» أفهل أنت من أولئك الذين لا يعملون إلا بدافع خشية الإملاق والجوع؟ فإن ذلك ليس بحسن أبدا! أفهل إذا اطمئن الإنسان أن رزقه محفوظ وآتيه لا محالة، ينبغي أن يترك العمل؟! العمل جوهر الإنسان. فقد قال الإمام الصادق(ع): « فَإِنَّهُ خُلِقَ لَهُ الْحَبُّ لِطَعَامِهِ وَ كُلِّفَ طَحْنَهُ وَ عَجْنَهُ وَ خَبْزَهُ وَ خُلِقَ لَهُ الْوَبَرُ لِكِسْوَتِهِ فَكُلِّفَ نَدْفَهُ وَ غَزْلَهُ وَ نَسْجَهُ وَ خُلِقَ لَهُ الشَّجَرُ فَكُلِّفَ غَرْسَهَا وَ سَقْيَهَا وَ الْقِيَامَ عَلَيْهَا وَ خُلِقَتْ لَهُ الْعَقَاقِيرُ لِأَدْوِيَتِهِ فَكُلِّفَ لَقْطَهَا وَ خَلْطَهَا وَ صُنْعَهَا وَ كَذَلِكَ تَجِدُ سَائِرَ الْأَشْيَاءِ عَلَى هَذَا الْمِثَالِ فَانْظُرْ كَيْفَ كُفِيَ الْخِلْقَةَ الَّتِي لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ فِيهَا حِيلَةٌ وَ تُرِكَ عَلَيْهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ مَوْضِعُ عَمَلٍ وَ حَرَكَةٍ لِمَا لَهُ فِي ذَلِكَ مِنَ الصَّلَاحِ لِأَنَّهُ لَوْ كُفِيَ هَذَا كُلَّهُ حَتَّى لَا يَكُونَ لَهُ فِي الْأَشْيَاءِ مَوْضِعُ شُغُلٍ وَ عَمَلٍ لَمَا حَمَلَتْهُ الْأَرْضُ أَشَراً وَ بَطَراً وَ لَبَلَغَ بِهِ ذَلِكَ إِلَى أَنْ يَتَعَاطَى أُمُوراً فِيهَا تَلَفُ نَفْسِهِ وَ لَوْ كُفِيَ النَّاسُ كُلَّمَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ لَمَا تَهَنَّئُوا بِالْعَيْشِ وَ لَا وَجَدُوا لَهُ لَذَّةً أَ لَا تَرَى لَوْ أَنَّ امْرَءاً نَزَلَ بِقَوْمٍ فَأَقَامَ حِيناً بَلَغَ جَمِيعَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ مَطْعَمٍ وَ مَشْرَبٍ وَ خِدْمَةٍ لَتَبَرَّمَ بِالْفَرَاغِ وَ نَازَعَتْهُ نَفْسُهُ إِلَى التَّشَاغُلِ بِشَيْءٍ» [توحيد المفضل/ ص٨٦]

تقول تعاليم الإسلام: (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ) [الذاريات/٥٨] فلا تخافون. بينما يقول بعض الجهلة: «إن هذا النمط من تعاليم الدين في الرزق جعل الشعوب الإسلامية لا تكدّ ولا تعمل! فإن السبب في انحطاط المسلمين هو معتقداتهم الدينية! لأنهم يعتقدون أن الله هو الرزاق فلا يعملون، فيجب أن يخافوا من الفقر ليباشروا العمل!» فإن هؤلاء قد اتخذوا أساسا غلط لعمل الإنسان. بينما يود الله أن يربّي عباده بشخصيّة قويّة ولذلك يقول لهم: أريحوا بالكم فأنا رازقكم، فاعملوا إذن قربة إليّ وعبادةً وشكرا لي ومن أجل التشبّه بي ومن أجل المزيد من الإبداع ـ إذ كل من كان مبدعا فهو يصبح شبيها بعض الشيء بالله البديع ـ وستحظون عندئذ بحياة مختلفة تماما. يعلمّنا الدين بتعاليم يزيح بها الخوف من قلوبنا؛ هذا الخوف الذي أصبح لدى الكثير الدافعَ والمحرّك للحياة والذي يحرّضهم على العمل، فيعملون مثلا خشيةَ الإملاق.

«الخوف من الله» لطريق آخر للقضاء على الخوف

إن لله سبحانه طريقا آخر إلى إزالة الخوف عنا. عندما ينهاك الله عن الخوف ويراك لا محالة خائفا، يقول: اخشني! فعلى سبيل المثال يقول: (فَلا تَخْشَوْهُمْ وَ اخْشَوْني) [البقرة/١٥٠] عندما ينهى القرآن عن خشية أحد، يوصي في الغالب بخشية الله ورهبته. ماذا يحدث إن خشينا أحدا غير الله؟ فعلى سبيل المثال إن تنازلتم للأمريكان بسبب قسوتها في الإجرام، لكي لا تدخلوا معها في حرب وتحافظوا على السلم والأمن ماذا يحصل؟ ستفقدون أمنكم؛ هذه هي سنة الله. فقد روي عن الإمام الصادق(ع): «مَنْ لَمْ يُنْفِقْ فِي طَاعَةِ اللَّهِ ابْتُلِيَ بِأَنْ يُنْفِقَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ مَنْ لَمْ يَمْشِ فِي حَاجَةِ وَلِيِّ اللَّهِ ابْتُلِيَ بِأَنْ يَمْشِيَ فِي حَاجَةِ عَدُوِّ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ» [من لا يحضره الفقيه/ج٤/ص٤١٢] إن لم نكن تعبويّين وجنودا للمقاومة ولم نكن في خدمة وليّ الله ولم نضحِّ في هذا السبيل، نصبح جنودا وفدائيّين أذلاء لأمريكا بالمجان! فلابدّ أن نخاف من هذه العاقبة فقد عاقب الله أهل الكوفة يومذاك بهذه العقوبة. فقد دعاهم أمير المؤمنين(ع) مرارا إلى جهاد العدوّ، ولكنهم قصّروا وتخلّفوا. فصار مصيرهم أن التحقوا بعد فترة بجيش يزيد وقُتِل منهم آلاف في سبيل قتل الحسين(ع).

كيف يسدّ اللهُ علينا بابَ تبرير الخوف؟

انظـروا كيـف كيـف يسـدّ اللـه علينـا أبـوابَ تبريـر الخـوف؟ لقـد أشرنـا إلى طريقـين: أحدهـما هـو أن يؤكـد عـلى أن «المـوت بيـدي» والثـاني هـو أن يقـول لنـا: «رزقكـم بيـدي» فلـماذا تخافـون؟ إن اللـه يسـدّ علينـا بـاب تبريـر الخـوف مـن جانـب لـكي لا نخـشى غـيره ويقـول: «اخشـوني فأنـا الـذي قـادر عـلى أن أصيبكـم بأنـواع العـذاب». فقـد قـال في هـذه الآيـة المشـهورة: (الْيَـوْمَ يَئِـسَ الَّذيـنَ كَفَـرُوا مِـنْ دينِكُـمْ فَـلا تَخْشَـوْهُمْ وَ اخْشَـوْنِ) [المائـدة/٣] لمـاذا؟ لأني منحتكـم إمامـا، والإمـام مدعـاة لقوّتكـم. فاخشـوني! فإنكـم إذا أطعتـم إمامكـم قويتـم ولا تعـودون تخشـون عدوّكـم، ولكـن إذا عصيتـم إمامكـم فأنـا خصيمكـم! قـدّروا ـ مثـلا ـ هـل اللـه أقـدر عـلى البطـش بنـا أم أمـيركا؟ اللـه بـلا ريـب. فعـلى أيّ أسـاس نخـشى أمـيركا ولا نخـشى اللـه؟!

الخوف من الله، يجعل الإنسان عاشقا لله

لا سـبيل لنـا إلى تبريـر الخـوف. فـإذا أردنـا أن نـبرّر خوفنا فـما عسـانا أن نفعـل بالخـوف مـن اللـه؟ فإن يـأت الخـوف مـن اللـه تنمحِ تبريراتنـا السـابقة جميعـا. يزيـح الخـوف مـن اللـه كلّ مـا يحوكـه الذهـن في تبريـر الخـوف. لقـد كـثر الحديـث في عشـق الشـهداء للـه. ولكـن بـودّي الآن أن أذكر نقطـةً في «خوف الشـهداء مـن اللـه». لقـد رأينـا في أيـام الدفـاع المقـدّس أن خـوف الشـهداء مـن اللـه أكـثر مـمّا نتصـوّر. فعـلى سـبيل المثـال كانـوا إذا يأخـذون إجـازة في الرجـوع إلى أوطانهـم يخشـون أن يكـون ذلـك معصيـة اللـه. الخـوف مـن اللـه يجعـل الإنسـان عاشـقا للـه. فلـولا هـذا الخـوف مـن اللـه لتحـيّر الإنسـان وتـاه.

ما هي العلاقة بين الخوف من الله والخوف ممّا سواه؟

هنـاك علاقـة بـين الخـوف مـن اللـه والخـوف مـمّا سـواه. فقـد روي عـن الإمـام الصـادق(ع) أنـه قـال: «مَـنْ خَـافَ اللَّـهَ عَـزَّ وَ جَـلَّ أَخَـافَ اللَّـهُ مِنْـهُ كُلَّ شَـيْءٍ وَ مَـنْ لَـمْ يَخَـفِ اللَّـهَ عَـزَّ وَ جَـلَّ أَخَافَـهُ اللَّـهُ مِـنْ كُلِّ شَـيْءٍ» [منلايحضرهالفقيـه/ ج٤/ ص٤١٠] مثـلا كان القائـد سـليمان يخـاف اللـه كثـيرا. فـما يحـدث لمـن يخـاف اللـه؟ إحـدى النتائـج هــي أنـه سـيهابه العـدوّ. حينـما حـاصر الدواعـش منطقـة ليقتحموهـا، بمجـرّد أن سـمعوا بقـدوم القائـد سـليماني إلى تلـك المنطقـة، انسـحبوا منهـا وفـرّوا!

الأثر الوضعي المترتب على خشية الله هو عدم الخوف ممّا سواه

من أجل أن يسدّ الله علينا باب تبرير الخوف قال: (وَ اخْشَوْني). الالتفات إلى بعض ما سيحدث بعد الموت من سكرات الموت وضغطة القبر وسؤال منكر ونكير و... لطريق إلى التخلّص من الخوف من غير الله. فانظروا كم يرهبنا الله سبحانه في القرآن الكريم! حتى يسعنا القول بأن القرآن يرهب الإنسان أكثر ممّا أن يحتفي به أو يحترمه. لأنه يريد أن لا تخاف أحدا بل تخاف الله وحده! الأثر الوضعي المترتب على خشية الله هو عدم الخوف ممّا سواه. فما يحدث إذا كنت لا تخاف أحدا سواه؟ سيخاف هو منك! قال الإمام(ره) لأولاده ذات مرّة: «إن ما يقوله الناس من أنّهم يخافون من شيء ما، لم أشعر به قطّ!» أن يقول الإمام: «لم أشعر بهذا الخوف» يعني أنه لم يخف سوى الله شيئا. يقول الإمام(ره): «إن عرف الإنسان أن كلّ شيء منه، فلن يخاف بعد ذلك من أيّ قوّة. نحن الذين نخاف من القوى، فذلك لأننا نحسب أنها قوّة حقّا. إن لم يعترف الإنسان بقوّة سوى قوّة الله، واعتبر كلّ شيء منه، فلا يسعه بعد ذلك أن يخاف شيئا. كلّ مخاوفنا هي ناجمة من كوننا لم ندرك أن القوّة قوّة واحدة، وهي قوّة لصالح الجميع. إنها قوّة مستخدمة لصالح جميع الناس وكل مجتمع وجميع البشر. نحن أدركنا هذا المعنى وعرفنا أن كل شيء منه وكل ما هو موجود هو لصالحنا ومن أجل تربيتنا، فإذا عرف الإنسان ذلك حقّا وشاهده وذاب فيه، ستنحل كل هذه القضايا.» [صحيفة الإمام(الفارسية)/ج١٩/ص٣٥٥]

أرهبوا الجنود الأمريكان

عندي اقتراح لكم أيها الشبّان. استعينوا بالذين يعرفون اللغة الإنجليزية وأعدّوا تصاميم بجمل وعبارات مختلفة ترهبون بها الجنود الأمريكان، وخاطبوا أسرهم أن اسحبوا أبناءكم من منطقتنا. الجنود الأمريكان هم خائفون كثيرا دون تحريك ساكن، فإن فعلتم ذلك سينتهي أمرهم إلى التمرد على الجيش، وسنرى انسحابهم من الجيش وفرارهم من المعسكرات وسوف يتلاشى جيشهم. كان الشهيد همت في ١٩٨١ أحد أعضاء المجموعة التي ذهبت إلى لبنان بقيادة الحاج أحمد متوسليان. فكان بصفته مسؤولا على أحد الأقسام يعلم ويدرّب المجاهدين وكان يقول: «إن أسهل حرب في العالم هي الحرب ضدّ إسرائيل! ثم شرح لنا اصطفافهم العسكري حين هجومهم بالدبّابات، وقال: حسبكم أن تستهدفوا دبابة واحدة. وكفاكم أن تستهدفوا من رتلهم رجلا واحدا!»

قال الإمام(ره) قبل ثلاثين سنة: اضربوا البارجة الأمريكيّة. ولكنّهم لم يمتثلوا!

ترى البعض يخافون من هيمنة الجنود الأمريكان. لابدّ أنكم قد رأيتم كثرة الأجهزة التي ربطوها بأنفسهم. فقولوا لهم: كلّ هذه الأجهزة التي ربطتموها بأنفسكم هي نتيجة خوفكم! اللهم بحقّ دماء جميع المظلومين الذين سفكت دماؤهم حتى اليوم، افضح وأبد أولئك الذين تسببوا في بقاء أميركا ودوام ظلمها وجرائمها إن لم يستحقّوا الهداية. قال الإمام(ره) في عام ١٩٨٨: أول بارجة أميركيا تقدم، فاضربوها! ولكن لم يفعلوا ذلك! وها قد اتضح بعد ثلاثين سنة أنّ أكبر ضعف يعاني منه الجيش الأمريكي، في بوارجه. فكان بوسعنا أن نستهدفها يومذاك ولكن لم نفعل. يقول الله لنا: حسبكم ألّا تخافوا، وعليّ الباقي! إن الله يدير الأمواج؛ أمواج الرعب التي يلقيها في قلب العدوّ تجاهك. والله يقول: إن هذه الأمواج بيدي. ثم يقول: لا تخف سواي، أجعل الجميع يهابك. وما أكثر الروايات في هذا الخصوص. كما روي في أصحاب الإمام المهدي(عج) أنهم إذا ساروا إلى منطقة يتقدّمهم الرعب إلى هناك ويمهّد لنصرهم؛ «القَائِمُ مِنّا مَنْصُورٌ بِالرُّعْبِ مُوَيدٌ بِالنَّصْر» [كمالالدين/ج١/ص٣٣١] «وَ الرُّعْبُ يَسِيرُ مَسِيرَةَ شَهْرٍ أَمَامَهُ وَ خَلْفَهُ وَ عَنْ يَمِينِهِ وَ عَنْ شِمَالِهِ» [غيبة النعماني/ص٢٣٤]

الخوف من الله هو شأن الراقين من الناس!

كيف يقنعنا الله على أن لا نخاف؟ الطريق الأوّل هو أن يعلن أن (الْقُوَّةَ لِلَّه) والثاني أن يقول: «إياي فارهب فإنا الوحيد الذي قادر على أن أبتليك بشتى المصائب والرزايا»! لعلّكم تتصوّرون أن هذا الأسلوب هو خاصّ بأصحاب العقول والأفهام الدانية، أما الراقون من الناس فهم يعرفون أن القوّة لله ولا يخشون سوى الله. ولكن الخوف من الله ليس شأن أولي المستوى الداني من الناس! من أجل أن تتخذوا الخوف من الله بمزيد من الجدّ لاحظوا هذا الحديث الشريف عن رسول الله(ص) حيث يقول: «يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ لِمَلَائِكَتِهِ يَا مَلَائِكَتِي انْظُرُوا إِلَى أَمَتِي فَاطِمَةَ سَيِّدَةِ إِمَائِي قَائِمَةً بَيْنَ يَدَيَّ تَرْتَعِدُ فَرَائِصُهَا مِنْ خِيفَتِي وَ قَدْ أَقْبَلَتْ بِقَلْبِهَا عَلَى عِبَادَتِي»[أمالي الصدوق/ص١١٣] مع كل ما تحظى فاطمة الزهراء(س) به من مقام ومنزلة، سألت عليّا أن لا يفارق قبرها بعد دفنها بل يجلس عندها ويتلو القرآن.

لماذا كل من يخاف الله يعشقه؟

فلنسأل الزهراء(س) أن تهب لنا هدية وهي «الخوف من الله»، أو الخوف من عذابه أو من إعراضه عنّا على الأقل. أتمنى أن تهب لنا هذه الهديّة لنذوق طعم الحياة وطعم محبة الله قليلا، لأننا نقرأ في الأدعية المأثورة: «يا من لا مفرّ إلا إليه». و جاء في الحديث الشريف عن أمير المؤمنين(ع): « وَ فِرُّوا إِلَى اللَّهِ مِنَ اللَّه» [نهج البلاغة/الخطبة٢٤] كلّ من يخاف الله يعشقه. أتدرون لماذا؟ لأن بعد خوف العبد من الله يضمّه الله إليه ويفور حنان الله ويهدّئ عبده ويطمئنه! كالأم التي تضمّ طفلها إذا فزع إليها.



لا نخشَ غيرَ الله (المحاضرة ٣)

عليرضا بناهيان



الزمان: أيام الفاطمية

التاريخ: ١٣ جمادى الأولى ١٤٤١

المكان: جامعة طهران

الموضوع: لا نخشَ غيرَ الله (المحاضرة ٣)

السلاح الرئيس لدى نظام الهيمنة هو «إدارة الرأي العام»/ «خشية اللوم والإدانة» أصل مهم في إدارة الرأي العام/ خصلة الموطئون للظهور هو أن (لاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لاَئِمٍ)/ لقد سنحت فرصة ذهبية لمخاطبة الرأي العام الأميركي/ لقد حظينا بشهيدٍ عالمي/ علينا أن نعرّف الشعب الأميركي على القائد سليماني

أكثر آلة يستخدمها نظام الهيمنة في آخر الزمان هي «إدارة الرأي العام». إن نظام الهيمنة ومن أجل أن يدير الرأيَ العام ويتسلّط على رقاب الناس، يستخدم عامل الرعب؛ فإما يرهب الناس من الفقر والحرب، وإما أن يرعبهم من اللوم. قد يقدر المظلومون المضطهدون على كسر حاجز الخوف من الحرب والفقر، ولكن تبقى «خشية اللوم» ماثلة بقوّتها. على ما يبدو من الآية القرآنية، الخصلة المهمّة لدى القوم الذين سينهضون في آخر الزمان هو «عدم خوفهم من اللوم».

إليكم أهمّ المقاطع من المجلس الثالث من سلسلة محاضرات عليرضا بناهيان في جامعة طهران تحت عنوان «لا نخشَ غيرَ الله»:

لابدّ أن نقضى على ثقافة «الحياة على أساس الخوف»

لابدّ أن نقضى على ثقافة «الحياة القائمة على الخوف»، كما لابدّ لنا من القضاء على ثقافة «اختيار العمل بدافع الخوف». ستزول هذه الهواجس في ظل حكومة الإمام المنتظر(عج). فعلى سبيل المثال من أجل دفع «خشية الإملاق» ستقول الحكومة للناس عندئذ: «سنعوّض عن خسارة كلّ من افتقر» فإذا زال الخوف من الفقر، فلماذا نعمل إذن؟ سنعمل تلبية لرغبتنا في الإبداع، وخدمةً للناس، ومن أجل السباق الذي ذكره القرآن: (الَّذي خَلَقَ الْمَوْتَ وَ الْحَياةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً) [الملك/٢] كما هو الحال في لاعبي الفريق المنتخب، إذ يتم سدّ جميع احتياجاتهم من الطعام والتكاليف والرواتب وغيرها، ليتسابقوا في ساحة المباراة ببال مرتاح. هكذا سيكون النظام الولائي في حكومة الإمام المهدي(عج)! لذلك سيَعمُر العالم ويُصلح الإمامُ المهدي حياةَ الناس لكي لا ينشغلوا بالهوامش وليجدوا أنفسهم وسط ساحة السباق والقيام بالعمل الأحسن.

إحدى الركائز الثقافية في «الحياة الولائية» هي حذف ثقافة «الحياة بدافع الخوف»

إحدى الركائز الثقافية في «الحياة الولائية» هي أن نقضي على ثقافة «الحياة بدافع الخوف». ومن أجل إزاحة ثقافة الحياة بدافع الخوف، لابدّ أن تتغير أنماطُ الحياة. فيا ترى كيف يجب أن يتغيّر نمط حياتنا لتزول ثقافة الخوف؟ قد يقتضي الأمر حذفَ «إجهاد الامتحانات». حذف امتحان الفحص الوطني كنموذج. ولعلّه يلزم إعادة النظر بشأن «الشهادة الدراسيّة». قد يقتضي الأمر تقليص العمل التوظيفي إلى الحدّ الأدنى لكي لا يرغب أحد في التوظيف خشية الإملاق، بل يستعدّ لمغامرة التجارة والأعمال الأخرى. لابدّ أن نقوم بعمل تثقيفي واسع في سبيل مغادرة «الحياة بدافع الخوف»، فإن هذه الحياة غير مطلوبة أبدا وحال الناس في هذه الحياة غير جيّدة، وإن لم يدركوا ذلك بالطبع.

إحدى ركائز نظام الهيمنة هي «ثقافة الخوف»/ كان أسلوب السيطرة على المجتمعات البشرية عبر استخدام آلة «الرعب» أسلوبا سائدا على مرّ التاريخ

إحدى ركائز نظام الهيمنة هي «ثقافة الخوف»؛ أي الثقافة التي تجعل الناس يعيشون على أساس الخوف. ما هي النتيجة السياسية المترتّبة على هذه الثقافة الغلط؟ بعد ما عاش الناس في مجتمع ما على أساس الخوف، سينتخبون الجبناء في الانتخابات. ومن ثَمّ سيرتفع مستوى الاحتياط في المجتمع وبعد ذلك يتسلّط نظام الهيمنة على رقاب ذلك المجتمع. لا يخفى أن السيطرة على المجتمعات البشرية بعامل «الرعب» أمر سائد على مرّ التاريخ. ما أكثر المدراء والرؤساء الذين اتخذوا شتّى أساليب «الإرعاب» في سبيل السيطرة على المجتمع، من قبيل الفقر والقتل والضرب والسجن. أحد أقبح أساليب الإرعاب في عالمنا المعاصر والذي اتُخِذ وسيلة للهيمنة هو «الخوف من التحقير والاستهزاء» وهو أقبح من الإرعاب الذي يمارسه الطغاة المستبدّون.

لقد تغيّرت اليوم أساليب الخوف المستخدمة لاستعباد الناس

يهـدّد الطغـاة المسـتبدّون أرواحَ النـاس بالسـيف ويرهبـون المجتمـع عـبر التهديـد بالمـوت أو الفقـر بشـكل مبـاشر وهـم بذلـك يسـيطرون عـلى رقـاب النّـاس. أمّـا اليـوم فقـد تغـيّرت أنمـاط الإرعـاب المسـتخدمة لاسـتعباد النـاس، إذ قـد ازدادت وسـائل وأدوات إدارة الـرأي العـام. لم تكـن وسـائل التأثـير عـلى الـرأي العـام وأحـوال النـاس بكثرتهـا الآن في العصـور الماضيـة. فلـم تكـن الأدوات الثقافيـة كالموسـيقى والأفـلام والمسلسـلات ونـشرات الأنبـاء والصحـف والمجـلات بهـذا الكـم مـن الكـثرة والتنويـع، أمّـا اليـوم فقـد ازدادت النفـوس مـن جانـب، وسَـهُل تحشـيدهم بكلمـة امتهـان واحـدة ضـدّ الحـق مـن جانـب آخـر. فهـم قـد أتقنـوا أسـاليب هـذا العمـل.

اليوم السلاح الرئيس لدى نظام السلطة هو «إدارة الرأي العام»/ أحد الأصول المهمّة في إدارة الرأي العام هو الإرعاب

هنـاك واقـع في العـالم قـد سـمّيناه «نظـام الهيمنـة» وهـو الآن يديـر العـالم. ولكـن كيـف؟ ليـس بإمكانـه أن يديـر كلّ العـالم بالقـوّة كـما ليـس في ميسـوره أن يديـره بالمـال. لقـد جـاء شـوط إدارة العـالم بالمـال بعـد مـا فقـدت القـوّة القهريّـة دورهـا. أمّـا الآن فقـد أضحـى سـلاحهم الرئيـس في إدارة العـالم هـو «إدارة الـرأي العـام» وأحـد الأصـول المهمّـة لديهـم في إدارة الـرأي العـام هـو «الإرعـاب». وللإرعـاب أنـواع مختلفـة، فعـلى سـبيل المثـال الخـوف مـن القمـع والإبـادة والفقـر خـوف شـفّاف واضـح قـد بهـت أثـره. أمـا الآن فقـد اتجـه الطغـاة نحـو عمـل ثقـافي عميـق وهـو «الإرعـاب مـن التحقـير والاسـتهزاء» وهـذا الإرعـاب كـما لا يخفـى عامـل ثقـافي.

«خشية اللوم والاستهانة» هي أداة النظام الهيمنة المهمّة لإدارة الرأي العالم في العالم

لقد اتخذ مدراء الرأي العام في العالم عاملا ثقافيا كأداة لهيمنتهم. ليس هذا العامل الثقافي الخوفَ على الأرواح والأموال، ولا الخوف من الحرب والفقر، بل «خشية الاستهانة» و «خشية اللوم». فلنضع عدّة عبارات بعضها إلى جانب بعض لنخرج بنتيجة: الأولى هي أن أكثر أساليب نظام الهيمنة لـ «إدارة الرأي العام» في آخر الزمان ليست القتل المباشر، وبعبارة أخرى إن أكثر أدوات نظام الهيمنة هو «الخداع» لا «القوّة»! اعتمادهم على «الثقافة» أكثر من «الفقر». كما نرى الآن بوضوح ازدياد الأدوات الثقافية وأدوات السيطرة على الرأي العام مثل الجوّال وشبكات التواصل والانترنت والفضائيات، ولا تخفى مصادرها. يُسَيطر على رقاب الناس في آخر الزمان بالإرعاب؛ تارة بالإرعاب من الحرب والفقر، وتارة بالإرعاب من اللوم. بعد ما يشتدّ البأس وتضيق الأرض على المظلومين المضطهدين، تجدهم يتحدّون الخوف من الفقر والحرب، أما «الخوف من اللوم» فيبقى صامدا في مكانه.

الخصلة المهمّة لدى القوم الذين سينهضون في آخر الزمان هو «عدم خوفهم من اللوم».

فانظروا إلى آية القرآن لتروا ماذا تقول في قوم آخر الزمان؟ تتحدّث الآية عن قوم ينهضون في آخر الزمان؛ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِى اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللّهِ وَ لاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ) [المائدة/٥٤] روى ان النبي(ع) سئل عن هذه الآية فضرب بيده على عاتق سلمان فقال: «هذا و ذووه» [تفسير نورالثقلين/ج١/ص٦٤١] فعلى أساس الروايات والتفاسير يسعنا أن نقول أن هذه في شأن أصحاب الإمام المنتظر(عج) الذين ينهضون من بلداننا أي من إيران وما حولها.

من يخشى اللوم يصبح أسيرا لاستعباد نظام الهيمنة

إن هذه الآية تسلط الضوء على عنصر «خشية اللوم» وهو عنصر ثقافي. فتبيّن أن أحد أبرز خصائص قوم آخر الزمان هو أنهم منزّهون من «خشية اللوم»! إلهي لماذا اخترت هذه الصفة لقوم آخر الزمان من بين مئات الصفات الحسنة؟ هذا ما خفي عنكم يا مسلمي صدر الإسلام، أما أهل آخر الزمان فيدركون ذلك. فإنهم ولما حظوا به من هذه الصفة يعرفون جيّدا أن لولا هذه الخصلة لهلكوا. لا ينبغي لأهل آخر الزمان أن يخافوا لومةَ لائم. فمن يخاف اللوم فقد وقع أسيرا لاستعباد نظام الهيمنة. يرهبونك من «الاستهزاء» و «اللوم» ثم يسدّون فمك بكلمات كـ «المتطرّف» ثم يتخذونك عبدا! لقد صبّ نظام الهيمنة خلال هذا القرن الماضي معظم استثماراته ومصارفه لخدمة ظاهرة «التغرّب». من قبيل الدعايات والتلقينات التي تقول: «إن لم تشبه الغربيّين في نمط حياتك فلست أنيقا! وتبّا لك» فتهان لكونك لست متغرّبا. أو يقال: «إن فلانا قد ذهب إلى الخارج فأصبح مرموقا أنيقا». الخصيصة المهمّة لقوم آخر الزمان الذين سيدركون الإمام الحجّة(عج) هي أنهم (لا يَخافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ). اللوم هو في الواقع إلقاء الشعور بالمهانة. وعدم الخوف من اللوم هو أن لا تشعر بالمهانة إذا هانوك!

كم أهمية عدم الخوف من اللوم في تعاليمنا الدينية؟

ما هو شأن موضوع «عدم الخوف من اللوم» في ديننا؟ كيف يعالج النظام الولائي في حكومة الإمام صاحب العصر(عج) خشيةَ الفقر؟ فعلى سبيل المثال إنه يضمن للمواطن أن «كلما افتقرت وأفلست فأنا كفيلك وضامنك... فلا تخش الفقر!» كذلك الأمن مستتبّ في النظام الولائي وسيزول الخوف من عدم الأمان. كما ورد في الرواية: «حَتَّى تَمْشِيَ الْمَرْأَةُ بَيْنَ الْعِرَاقِ إِلَى الشَّامِ لَا تَضَعُ قَدَمَيْهَا إِلَّا عَلَى النَّبَاتِ وَ عَلَى رَأْسِهَا زِينَتُهَا لَا يُهَيِّجُهَا سَبُعٌ وَ لَا تَخَافُه» [الخصال للشيخ الصدوق/ج٢/ص٦٢٦] فانظروا كيف يربّينا الدين على عدم الخوف من اللوم. لقد روي عن الإمام الباقر(ع) حديث يخاطب به جابر بن يزيد الجعفي فقال له: «وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ لَا تَكُونُ لَنَا وَلِيّاً حَتَّى لَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْكَ أَهْلُ مِصْرِكَ وَ قَالُوا إِنَّكَ رَجُلُ سَوْءٍ لَمْ يَحْزُنْكَ ذَلِكَ وَ لَوْ قَالُوا إِنَّكَ رَجُلٌ صَالِحٌ لَمْ يَسُرَّكَ ذَلِكَ» [تحف العقول/ص٢٨٤]

ما الذي يجب فعله من أجل أن لا نخاف لومة أحد؟

ما الذي يجب فعله من أجل أن لا نخاف لومة لائم وامتهانه؟ علينا أن لا نطرب لتحسين مادح. إن لم نكترث بثناء الناس علينا، فبالطبع لن نكترث بامتهانهم إيانا. إن احتفى الناس بك وفرحت بذلك، فإنّك ستنهار فيما إذا أرادوا احتقارك. فيصبح ذلك وسيلة لاستعبادك. بينما انظروا إلى التربية الدينية. فقد منع الدين أن تمدح أحدا أمامه. فقد جاء في الحديث الشريف عن أمير المؤمنين(ع) أنه قال: «مَنْ مَدَحَكَ فَقَدْ ذَبَحَك» [تصنيف غررالحكم/ص٤٦٦] طبعا إذا أخبرت أخاك المؤمن بحبّك له فلا بأس بذلك ولكن لا تمدحه أمامه. لماذا؟ لأنك إن مدحته وتَحَفّز بمدحك، سيشعر بالنقص والمهانة إن كففت عن مدحه وهكذا سيستعبد!

انتفضوا في الفضاء الافتراضي على خشية الاحتقار!

أحد أنواع الخوف الذي يجب أن يتجرّد عنه الإنسان هو خشية الاحتقار. أيها الناس انتفضوا في الفضاء الافتراضي على خشية الاحتقار! وكذلك انتفضوا في الفضاء الافتراضي على خشية الإملاق والخوف من الموت. لقد أصبح كثير من شعارات الإمام الخميني(ره) في أيام الدفاع المقدّس غير قابل للطرح والتبليغ! لم يعد يجرؤ أحد في الإعلام والفضاء الافتراضي أن يقول: «إن دخلنا في صراع مع أميركا فإننا لا نهاب الموت!» لأن سرعان ما سيقول أسارى الخوف: «إنك تدفعنا صوب الحرب وسفك الدماء! إنهم سيبيدوننا...» إن هؤلاء هم المنظّرون للخوف! اعرفوا المنظّرين للخوف! من هم المنظّرون للخوف؟ هم أولئك الذين اتخذوا من الغرب قدوة لهم، والذين يعتبرون الغرب قويّا حقّا. هم الذين تغلغل التغرّب في وجودهم حتى النخاع. مع الأسف قد ترك الخوف من التحقير بصمات تأثيره في ثقافة المجتمع. فهل يستطيع أحد في هكذا مناخ أن يدّعي نحن الأقوى؟ هل يسعه أن يحتقر الغربيّين وينتقدهم ويتحدّث عن ظواهر الاستعباد في نظام الهيمنة؟

لقد سنحت فرصة ذهبية لمخاطبة الرأي العام الأميركي

أيها الإخوة لقد سنحت لنا فرصة ذهبيّة، لم تسنح منذ انتصار الثورة حتّى الآن. طبعا في أحداث احتلال وكر التجسّس الأمريكي سنحت لنا مثل هذه الفرصة لنخاطب الرأي العام في العالم الغربي ولا سيّما الأمريكي. ولكننا لم نقدر يومئذ على انتهاز تلك الفرصة. كثير من المواطنين في أميركا لا يعلمون أين تقع إيران، حتى قد لا يفرّقون بين إيران والعراق. التواصل مع الرأي العام الأميركي صعب جدّا. حين احتلال وكر التجسّس الأميركي سنحت فرصة التواصل مع الرأي العام في مجتمعهم. فليتنا كنّا نعدّ متخصّصين في جامعة كاملة للتواصل مع الشعب الأميركي. ولكنّنا لم نتحدث مع الشعب الأميركي منذ أربعين سنة، ولذلك تراهم لا يعرفون الشعب الإيراني. لقد وجّهوا علينا حوالي مئتين قناة فضائية. ولكن إذا أردنا أن نوجّه إلى شعبهم قنوات فضائية، يسدّونها، كما إنهم لم يتحملوا القناة الإنجليزية الواحدة التي نبثّها وحذفوها من أقمارهم.

إن إدارة الرأي العام أهون علينا من نظام الهيمنة، لأننا أصحاب كلمة الحق

ولكن الآن قد سنحت لنا عبر الإنترنت فرصة ذهبية لمخاطبة الشعب الأمريكي. فانظروا ما الذي تقدرون عليه في هذا المضمار؟ من منكم يعرف اللغة الإنجليزية ومن منكم يستطيع أن يطوّر لغته خلال الأشهر القادمة؟ إن إدارة الرأي العام أهون علينا من نظام الهيمنة والأمر عليهم أصعب. لماذا؟ لأننا أصحاب كلمة الحق. ولأننا نحظى بشخصيّات كالقائد سليماني!

لقد أصبحنا نحظى بشهيد عالمي/ لابدّ أن نعرّف الشعب الأميركي على القائد سليماني، فإن هذا الشهيد صاحب رسالة إلى جميع أهل العالم!

عرّفوا الشعب الأميركي على القائد سليماني؛ على دموعه وحنانه على الأيتام وتمنيه الشهادة وذكرياته البسيطة التي هزّت قلبك. فإنها ذكريات يجب أن يطّلع عليها الجميع. لا تتخلَّ عن شهيدك. لماذا حضرت في تشييع جثمانه؟ فواصل مشايعته! أرأيت زينب ماذا فعلت برأس أخيها؟ لقد واكبته وشيّعته وعرّفت الجميع عليه ولم تتخلّ عنه! كونوا زينبيّين للقائد سليماني، فإن دم شهيدٍ عزيزٍ قد منحكم هذه الفرصة الذهبيّة. فكل واحد منّا إذا قعد عن العمل فقد ارتكب جرما معنويّا كبيرا!

لقـد حظينـا بشـهيد عالمـي ويجـب علينـا أن ننتج له فِلـماً عالميّا كحـدّ أدنى. ولا تحسـبوا أن الفلـم العالمي مُكلِـف جـدّا ويجـب أن تصرفـوا عليـه كالأفـلام الهوليوديـة، فليـس الأمـر كذلـك! إنتـاج الفلـم العالمي بحاجـة إلى فكـر، فـإن كنّـا غـير قادريـن عـلى جعـل القائـد سـليماني شـخصيةً عالميـة فإننـا مشـلولون. إن لهـذا الشـهيد ذكريـات جذابـة ومؤثـرة، لا يملـك غـيره حتى بعضهـا. لدينا شـهيد اعترف رئيـس الجمهورية الأميركيـة نفسـه بأنـه «نحـن قـد اغتلنـاه»، يعنـي قـد اسـتُهدِف بأمـر رأس القـوّة الزائفـة لنظـام الهيمنـة بشـكل مبـاشر ومَنَحنـا فرصـة ذهبيّـة لابـدّ مـن انتهازهـا. لقـد قـام جسـم القائـد سـليماني المقطّـع إربـا إربـا بـدوره في بلدنـا وبلـد العـراق، ولكـن مَـن لباقـي الأدوار والأفعـال؟ فـإن لهـذا الشـهيد رسـالته وكلمتـه لـكل أهـل العـالم! لم يستشـهد القائـد سـليماني مـن أجـل أن نحـزن ونـذرف الدمـوع ونكتسـب حـالا معنويّـا وحسـب! كـما أن الإمـام الحسـين(ع) ليـس مـن أجـل أن نجلـس في عزلة ونحصـل على حال معنـوي بذكـره وحسـب، بـل يجـب أن نُخـبر أهـل العـالم بأجمعهـم ونجمعهـم حـول الإمام الحسـين(ع).

أيّا ما تخافه سيصيبك!/ ما كانت نتيجة إرعاب الناس من «انسداد المصانع»؟

هنـاك مسـائل أخـرى حـول الخـوف لا يسـعنا المجـال لطرحهـا ولكـن أشـير إلى واحـدة منهـا فحسـب. لقـد جـاء في الأخبـار أنـه «مـا سَـلَّطَ اللَّـهُ عـلى ابـنِ آدَمَ إلّا مَـن خافَـهُ ابـنُ آدَمَ»[ميـزان الحكمـة/٥٤٨٦] فـأيّ أمـرٍ خافـه الإنسـان وعمـل وفـق خوفـه يصيبـه، وكذلـك المجتمـع، أيّ أمـرٍ يخافـه سـيصيبه. لقـد أخـاف النـاسَ رئيـسُ جمهوريّتنـا في الـدورة الأولى مـن رئاسـته مـن انسـداد المصانـع والمعامـل والفقـر، فانتخبـه النـاس ليتفـاوض مـع أمـيركا! ولكـن مـا كانـت النتيجـة؟ تدهـور الوضـع الاقتصـادي وتفاقـم انسـداد المعامـل. وهـل بمسـتطاعنا أن نخاصـم اللـه وسـننه؟ يقـول: «هـل خفتَـه؟ إذن فسأسـلّطه عليـك..» طبعـا الجماعـة ألقـوا التقصـير عـلى ترامـب، في حـين أن الخطـأ الرئيـس هـو الثقـة بالعـدو في التفـاوض، عـلى الرغـم مـن أن سـماحة السـيد القائـد قـد حـذّر مـن الثقـة بـه.

لقد خذل أهل الكوفة الإمام الحسين(ع) خوفا من جيش يزيد، فلماذا أهل المدينة خذلوا فاطمة(س)؟

ما الفرق بين فاطمية وعاشوراء؟ لقد قتل أهل الكوفة الإمامَ الحسين(ع) خوفا من ماذا؟ خوفا من جيش يزيد الوحشي! خافوا أن ينهال عليهم جيش يزيد وينتهشهم؟ ولكن في المدينة وبعد ارتحال النبي(ص) ممَّ خاف الناس حتى أهملوا واعية فاطمة الزهراء(س)؟ وهل كان جيش متأهّب لانتهاشهم؟ لم يكن هناك خوف من الفقر ولا خوف من القتل، بل كان خوف نفساني؛ فقد استوقفتهم المجاملات فيما بينهم واستحيى كلّ من الآخر حتى خذلوا فاطمة(س) وهذا لأمر مؤلم ومحرق جدّا. لو كان قد خرج أهل المدينة بعد ما سمعوا صراخ فاطمة(س) وواعيتها وقالوا: «ما الخبر؟ وما جرمها يا ترى، أرجعوا الحطب ولا تؤذوها...» لما تعرّض لهم أحد، ولكنّهم لزموا صمتا قبيحا وارتكبوا خيانة عظيمة. حينما نادى الإمام الحسين(ع): «هل من ناصر ينصرني» فإذا أراد رجل نصرته كان يجب أن يستسلم للقتل وتقطيع جسمه، ولكن حينما ضجّت فاطمة الزهراء(س) بين الحائط والباب، فكلّ من ينصرها يومئذ لم يكن يهدّد بالقتل. والشاهد التاريخي هو أن الزبير شهر سلاحه لينصرها، فلم يفعلوا سوى أن أخذوا منه سيفه ونحّوه عن المعمعة ولم يقتلوه. إذن فمن أي شيء خاف الناس حتى خذلوا فاطمة الزهراء(س)؟ لم يكن سوى خوف نفساني بغير سبب! ما هي إلا حرب نفسيّة انطلقت ضدّ أمير المؤمنين(ع) فمنعت الجميع من نصرته. وكما نقل في التاريخ، كان عدد كبير من الرجال يَعِدُ أميرَ المؤمنين(ع) بالنصرة فلمّا يأتي صبيحة يوم غد، كانت تستوقفهم المجاملات فيقعدون عن نصرته. لماذا سادت هذه الموجة النفسيّة الشديدة؟ بسبب بغضهم لعلي بن أبي طالب! لكونهم كانوا قد بيّتوا حقدا تجاه أمير المؤمنين(ع). فتماشوا مع الأحداث وظُلمِ أمير المؤمنين(ع) وخضعوا للمجاملات ولم يحرّكوا ساكنا حتى فارقت فاطمة(س) الحياة..